مهمة رجل واحد

محمود سالم

مهمة رجل واحد

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مهمة رجل واحد

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٥٨٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رحلة إلى ... قلب العصابة	١١
نعم ... أنت مراقب	١٧
من يكون مدير الرحلة؟	٢٣
نزيل الحجرة رقم «٩»	٢٩
الشياطين يقعون في الفخ	٣٥
«باسم» ... أنقذ الموقف	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رحلة إلى ... قلب العصابة

عندما انطلق «بو عمير» بسيارته من البوَّابة الصخرية للمقر السرِّي للشياطين، كانت مُهمَّته واضحةً في ذهنه. لقد ودَّع الشياطين مؤقَّتًا؛ فهناك خطةٌ مرسومة سوف يستعين فيها ببعض الشياطين، إلا أن هذه المهمَّة التي خرج لها الآن تحتاجه هو فقط ... إنها مُهمَّة رجلٍ واحد.

كانت السيارة تنطلق بسرعة الصاروخ في طريقها إلى «الجزائر»، حيث يستقلُّ الطائرة من هناك إلى «باريس». إن مُهمَّته لن تكون في «باريس» ذاتها، بل ستكون المهمَّة في مدينة «ريمس» الصناعية، التي تقع في شمال «فرنسا». إن مقر العصابة الدولية فيها، ولا يستطيع أحد الوصول إليه. إنه الآن يستعيد كلَّ التفاصيل التي ذكرها له رقم «صفر»، وتلك المناقشة التي دارت بين رقم «صفر» وبين الشياطين. إنه يشعر بالسعادة لأن الاختيار وقع عليه هو للقيام بهذه المهمَّة ... وتذكَّر قول «إلهام»: إنه يجب أن يصحبه ... أحد، لكن رقم «صفر» ردَّ عليها قائلًا: إنها مهمَّة رجلٍ واحد. إنه وحده الذي يستطيع أن يفتح الطريق ... لاشتراك آخرين في المغامرة.

إنه يتذكَّر أيضًا كيف صمَت رقم «صفر» قليلًا قبل أن يقول: لقد وقع الاختيار على «بو عمير» لأن هناك كثيرًا من الجزائريين يعملون في «فرنسا». وأنتم تعرفون ذلك التاريخ الطويل بين «الجزائر» و«فرنسا»، والنضال الطويل الذي ناضلته «الجزائر» من أجل الاستقلال. ووجود جزائريين كثيرين في «فرنسا»، سوف لا يلفت النظر إلى «بو عمير»، كما أن مدينة «ريمس» نفسها، يسكنها أكثر من خمسة آلاف جزائري.

كان الطريق الساحلي الذي تقطعه سيارة «بو عمير» هادئًا ... الجو رائق، والسماء تُنبئ بيومٍ مشرق. لقد كان الوقت صباحًا عندما انطلق «بو عمير» بسيارته من المقر السِّري

للشياطين. كان يُفكر: إن هذه أول مرةٍ يخرج فيها في مغامرةٍ بمفرده، وهذا يجعله يشعر بالحماس. إنه سوف يلتقي بالعصابة وحده ... وهو المسئول عن كل شيء.

إن «بو عمير» يتذكَّر تلك الكلمات التي قالها له رقم «صفر»: إنها مغامرةٌ عقلية؛ فأنت وحدك لن تستطيع التغلُّب على عصابةٍ بأكملها، إذا أصبح الصراع بالأيدي.

ستذهب إلى «الجزائر» وكأنك قادمٌ منها ... يجب أن تتخفَّى جيدًا، وتبدو كأي جزائريٍّ ذاهب للعمل في «فرنسا». تستطيع أن تفعل ذلك بسهولةٍ إذا استخدمت عقلك جيدًا.

أخذ يستعيد كلَّ المعلومات التي زوَّدها بها رقم «صفر» عن تلك العصابة «الغامضة». رئيس العصابة يُدعى «بالمي»، وهو رجل متقدِّم في السن، يتمتَّع بذكاءٍ خارق، اشترك مع قوات الاحتلال الفرنسية للجزائر، وعاش في «الجزائر» سنوات طويلة. هادئ الملامح، تبدو عليه الطيبة وإن كان غير ذلك. أُصيب بحالةٍ عصبيةٍ تركت آثارًا في عينه اليمنى. يتحدَّث العربية الفصحى، وبعد حصول «الجزائر» على استقلالها، خرج من الجيش الفرنسي، ثم انضمَّ إلى عصابة من فروع «المافيا»، ولم يمضِ عليه عام في العصابة حتى استطاع أن يستقلَّ بنشاطه الإجرامي، وأن يتزعَّم مجموعةً من الخارجين على القانون، ونقل نشاطه من «روما» حيث كان فرع عصابة «المافيا»، إلى مدينة «ريمس» الفرنسية. وقد تجمَّعت عصابته الجديدة التي بدأت تفرض نفوذها على أماكن كثيرةٍ في العالم. واصطدمت عصابته الجديدة بالعصابة القديمة، فاستطاع أن يتغلَّب عليها، فانضمَّ إليه باقي أفراد عصابة «المافيا» ... ولذلك فكل العصابات الدولية تعرفه، وتعرف قوته ونفوذه.

كان «بو عمير» يستعيد كلَّ هذه التفاصيل، ويُفكِّر في أنه سوف يلتقي مع شخصيةٍ إجراميةٍ من الطراز المخيف.

ومن جديد، بدأ يستعيد معلوماته عن أفراد العصابة، كما قالها رقم «صفر»: الرجل الثاني بعد «بالمي» هو «مارسان» ... شابٌّ في الثلاثين. قوي العضلات، يُجيد إطلاق الرصاص بكلتا يدَيه. كان أحد الرجال البارزين في عصابة «المافيا»، غير أنه كان معجبًا بزعيمه الجديد «بالمي». عقلية فذةٌ في الإلكترونيات. يهوى الصيد. اشترك في الهجوم على «بنك سويسرا القومي» الذي اهتزَّت له الدنيا ... ورغم أن عددًا من أفراد العصابة قد قُتل في هذا الهجوم، إلا أن «مارسان» استطاع ببراعة أن ينجو، ويعتمد عليه «بالمي» في المهمَّات الصعبة.

«باولوس» هو الرجل الثالث ... أعور ... بعد أن فقد عينه الأخرى في مُهمَّة إجرامية قام بها. قصير القامة، قوي، سريع الحركة، يبدو كالنائم وإن كان شديد اليقظة.

«لوثيلا» ... فتاة في الخامسة والعشرين، انضمَّت للعصابة منذ خمس سنوات، واستطاعت أن تنال ثقة «بالمي» ... تُجيد فنون التنكُّر، وتتحدَّث عددًا من اللغات. من أصل أمريكي، وقد اشترك أبوها في الحرب الفيتنامية، وقُتل في الحرب. ويُسمُّونها «الثعبان»، وتُجيد فنَّ الحصول على المعلومات.

كان «بو عمير» يستعيد معلوماته عن العصابة ... إنه يتذكَّر أن رقم «صفر» قد قال: إن هؤلاء الأربعة هم أهم رجال العصابة، أمَّا الباقون فهم أفراد عاديون. صحيح أن هناك رؤساء لمكاتب العصابة في أنحاء كثيرةٍ من العالم، إلا أن المهم هو مقرُّ العصابة ذاته.

أُضيئت لمبةٌ حمراء في «تابلوه» السيارة، فرفع السمَّاعة المعلَّقة أمامه، وسمع صوت المتحدِّث، قال «بو عمير» بعد أن استمع للحديث: نعم إنني بخير. تحياتي إلى الشياطين. ثم أخذ يستمع قليلًا، ثم أجاب: المؤكَّد أنني أفتقدكم خلال هذه الساعات. سوف أتحدَّث إليكم عندما أصل. تحياتي.

وضع السمَّاعة، لقد كان المتحدِّث هو «أحمد» ... إن «بو عمير» يتذكَّر تلك اللحظة الرقيقة التي غادر فيها المقر السري للشياطين.

شدَّ «أحمد» على يده وقال: سوف نفتقدك، لكننا سوف ننتظر رسائلك ... إننا على استعدادٍ للوصول إليك في أية لحظة.

ضغط زرًّا في «التابلوه»؛ فانسابت موسيقى ناعمةٌ تملأ فراغ السيارة. ففي كل مغامرة، كانت السيارة مملوءةً بالشياطين، يتناقشون، ويضحكون. كم هم أعزَّاء هؤلاء الأصدقاء الشياطين!

تجاوزت السيارة الحدود الليبية التونسية، وظهرت المراعي الخضراء. جميلةٌ تونس. لم يتوقَّف «بو عمير» لحظة، كانت خطته الوصول بأقصى سرعةٍ لبدء المهمة. كانت الشمس قد مالت في اتجاه الغرب، وبدأت حدة الضوء تخف، ومن بعيد، كان يرى بعض الرجال الذين يعملون في الحقول. إنه يتذكَّر مرات كثيرةً جاء فيها إلى «تونس»، غير أنه لم يكن وحده ... وتذكَّر تلك الليلة التي سهر فيها على شاطئ البحر المتوسِّط مع مجموعة الشياطين.

مضى الوقت سريعًا، وأشار عدَّاد السرعة إلى اقتراب الحدود الجزائرية. لم يمرَّ وقت طويل حتى ظهرت بوابة الحدود، حيث يقف عددٌ من رجال الشرطة التونسية، يتبعهم عدد من رجال «شرطة الجزائر». ضغط كلاكس السيارة يُحيِّي رجال الشرطة الذين أسرعوا بإنهاء الإجراءات حتى يُواصل طريقه بأسرع ما يمكن.

أصبح «بو عمير» داخل الأراضي الجزائرية الآن، وعليه أن يتجه إلى مدينة «الجزائر» العاصمة. كانت الجبال ترتفع في شموخٍ على جانبَي الطريق الذي يشقُّه ويتلوَّى داخله كأنه ثعبانٌ ضخم، وتذكَّر اسم «لوثيلا» عضو العصابة التي يُسمُّونها «الثعبان».

ظلَّت السيارة في اندفاعها تمر وسط القرى الكثيرة المتناثرة في أراضي «الجزائر»، أخيرًا لاحت «الجزائر» العاصمة.

أبطأ السرعة، وأخذ طريقه إلى المقر السري للشياطين في العاصمة الجزائرية ...

عندما توقَّف أمام المقر، قفز بسرعة من السيارة، وأخذ طريقه إلى الداخل، وما كاد يفتح الباب حتى اتجه مباشرةً إلى التليفون ورفع السمَّاعة، ثم أدار القرص واستمع قليلًا، ثم سأل: هل الضابط «نعيم» موجود؟

استمع لحظة، ثم قال: أشكرك. قد أتصل به مرةً أخرى. نعم. «محمد بو شال». نعم. نعم. هذا اسمي! أشكرك.

وضع سمَّاعة التليفون، ثم نظر في ساعة يده، إن الساعة تتجاوز السادسة الآن ... عليه إذن أن يتَّجه إلى شركات الطيران؛ علَّه يجد مكانًا إلى «باريس»، فأسرع بالخروج، وركب سيارته، ثم انطلق إلى شركة الطيران الجزائرية ... غير أنه لم يجد طائراتٍ مسافرةً اليوم، وكان عليه أن ينتظر إلى بعد غد، فانصرف إلى شركة الطيران الفرنسية ... اقترب من موظَّفة الاستعلامات، وسألها عن أول طائرةٍ إلى «باريس»، فنظرت في ساعة يدها، ثم أكملت: بعد ساعة!

شعر «بو عمير» بالفرح، فقال بسرعة: هل أجد مقعدًا فيها؟

جرت عينا الموظفة على «تابلوه» أمامها، ثم نظرت إليه مبتسمةً وقالت: مع الأسف الطائرة كلها مشغولة.

انتظرت قليلًا، ثم قالت: لكن يمكن أن تترك رقم تليفونك، فنضعك في قائمة الانتظار.

قال «بو عمير» في هدوء: ما هي احتمالات السفر؟

ابتسمت الموظَّفة وقالت: إنها مسألة ظروف ... فقد يتخلَّف أحد الركَّاب.

ترك «بو عمير» رقم تليفونه، ثم انصرف؛ ليبحث في شركات الطيران الأخرى ... غير أنه في النهاية لم يجد مقعدًا واحدًا ... كانت كلها مشغولة، أو أن طائراتها قد أقلعت، أو أن رحلة طيرانها سوف تكون غدًا، أو بعد غد.

لم يكُ أمام «بو عمير» إلا أن يعود إلى المقر في انتظار الظروف ... نظر في ساعة يده، كانت قد مرَّت نصف ساعة منذ غادر مكتب شركة الطيران الفرنسية ...

ضغط بنزين السيارة التي انطلقت في طريقها إلى المقر السري، وعندما أوقف السيارة، قفز منها مسرعًا إلى داخل المقر، وعندما اقترب من الباب، كان جرس التليفون يدق ففتح الباب، واندفع إلى الداخل.

ما إن وضع يده على السمَّاعة يرفعها حتى انقطع الاتصال!

فكَّر لحظة، لقد كان هناك أكثر من احتمال!

نعم ... أنت مراقب

هل هي مكالمةٌ من المقر السري؟ هل هي مكالمةٌ من الشياطين؟ ...

أستبعد ذلك؛ فهم لا يستخدمون التليفون الذي يُحتمل أن يكون مراقبًا. قال في نفسه: لا بد أنها شركة الطيران.

جلس بجوار التليفون، ربما يدقُّ مرةً أخرى. فكَّر لحظة، ثم قام وأحضر دليلًا للتليفونات ... أخذ يبحث عن رقم تليفون شركة الطيران الفرنسية، وما كاد يعثر عليه حتى دقَّ جرس التليفون، رفع السمَّاعة بسرعة ... واستمع قليلًا ... ثم ابتسم قائلًا: أهلًا أيها الصديق «نعيم». نعم لقد اتصلت بك. نعم أتمنَّى أن ألقاك. سوف أمرُّ عليك بعد قليل. إلى اللقاء.

وضع السمَّاعة، ثم شرد قليلًا، تذكَّر أنه كان يُريد أن يتصل بشركة الطيران ... ما كاد يمدُّ يده إلى السمَّاعة حتى دقَّ جرس التليفون. رفع السمَّاعة بسرعة، ثم سمع من يقول: ننصحك أن تعود إلى مكانك ... أنت مراقب ... ومن الممكن أن تنتهي حياتك بطلقةٍ واحدة.

قال «بو عمير»: من المتحدِّث؟!

ردَّ الطرف الآخر: لا داعي لأن تعرف ... قد نلتقي يومًا ... إنني فقط أُحذِّرك. وُضعت السمَّاعة في الطرف الآخر، بينما كان «بو عمير» لا يزال يُردِّد: ألو، ألو ... وضع السمَّاعة وشرد يُفكِّر: تُرى من كان صاحب المكالمة؟ هل هي دعابة من أحد الشياطين؟ غير أنه استبعد ذلك، وفكَّر أن يُرسل رسالةً إلى المقر السري. ظلَّ يُفكِّر لحظة، ثم في النهاية قرَّر أن يُرسل الرسالة. ما كاد يقف ليتحرَّك في اتجاه جهاز الإرسال حتى دقَّ جرس التليفون مرةً أخرى.

أسرع برفع السمَّاعة فربما كان هو نفس الصوت، غير أن الصوت كان مختلفًا ... جاءه صوت موظفة شركة الطيران يقول: إن الطائرة سوف تقوم بعد ساعة بعد أن تأخَّر موعد طيرانها، وهناك مقعدٌ قد اعتذر صاحبه.

شكرها «بو عمير»، ثم وضع السمَّاعة وقفز سؤال جديد ... هل يُسافر، أو يُؤجِّل السفر؟ إن المكالمة الغامضة التي تلقَّاها تجعله يُفكِّر أكثر من مرةٍ قبل أن يُقدم على شيء.

في النهاية استقرَّ رأيه ... وأرسل إلى المقر السري: «من «ش. ك. س» «٥»، إلى «ش. ك. س»: هل اتصلتم بي منذ عشر دقائق؟»

وبسرعة جاءه الرد: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س» «٥» لم يحدث ... هل جدَّ جديد؟»

أرسل رسالةً أخرى: «جاءتني مكالمة تليفونية تُحذِّرني من الاستمرار.»

انتظر قليلًا. كانت الدقائق تمر، وموعد قيام الطائرة يقترب، وتأخَّرت الرسالة قليلًا، كان جهاز الإرسال والاستقبال صامتًا تمامًا. دقَّ جرس التليفون، ووقف ينظر إليه قليلًا. ظلَّ الجرس يدق ... مشى في اتجاهه بهدوء، وعندما رفع سمَّاعة التليفون سمع نفس الصوت السابق يقول: لا داعي للتفكير. غادر مقرَّك السري، وعُد من حيث أتيت ... أنت تُواجه قوةً لا يمكن التغلُّب عليها.

قال «بو عمير» في هدوء: من أنت؟

لم يردَّ الطرف الآخر، ووضع السمَّاعة ... أُضيئت لمبةٌ صفراء في جهاز الاستقبال. عرف أن هناك رسالةً له، فوضع السمَّاعة، ثم اتجه إلى الجهاز ... استقبل الرسالة التي كانت تقول: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» «٥»: لقد بدأ الصراع. استمر!»

فكَّر قليلًا، ثم أرسل رسالةً إلى المقر السري: «إلى رقم «صفر». إنني في الطريق إليهم.» أخذ طريقه بسرعة إلى الخارج، وعند باب السيارة توقَّف قليلًا، كان يُفكِّر في موعد الضابط «نعيم» ... نظر في ساعة يده، لم يكن هناك وقت، كان يجب أن يتجه إلى مقر شركة الطيران.

هناك قالت له الموظفة: الطائرة سوف تُقلع بعد ساعة.

شكرها، ثم خرج. وقف قليلًا يُفكِّر؛ فلا يزال هناك بعض الوقت حتى يذهب إلى الضابط «نعيم». ركب السيارة، ثم انطلق. كانت شوارع المدينة قد بدأت تخلو من المارة ... فانطلق بسرعة. نظر في المرآة الأمامية للسيارة، كانت هناك سيارةٌ تتبعه، إنها تنطلق بنفس سرعته تقريبًا. حاول أن يرى ملامح سائقها في المرآة، فلم يستطع. انحرف بالسيارة

يمينًا حتى يتأكَّد إن كانت السيارة تتبعه أم لا، مضت لحظة، ثم ظهرت السيارة خلفه من جديد.

كان الطريق الذي يسير فيه يُبعده عن مكتب الضابط «نعيم»، وقد كان يتمنَّى أن يراه ... ولكن ... المطاردة الجديدة التي فُرضت عليه كانت أهم.

قال في نفسه: لا بد أنه الرجل الذي حدَّثني في التليفون.

أبطأ من سرعته قليلًا، فاقتربت السيارة الأخرى منه، وفي المرآة الأمامية رأى رجلًا آخر بجوار السائق، غير أنه لم يستطِع تبيُّن ملامحه ... ضغط بنزين السيارة فازدادت سرعتها، وانحرف يسارًا انحرافًا حادًّا، ثم انحرف يمينًا مرةً أخرى، وبعد عشرة أمتار أوقف السيارة، ثم نزل منها، واختفى خلف أحد البيوت. سمع السيارة الأخرى تمرُّ بسرعة، غير أنها توقَّفت، فأحدثت صوتًا عاليًا، ظهرت السيارة وهي تعود للخلف ... ثم دخلت في اتجاهه، أخرج مسدَّسه واستعد. كان واضحًا أن المطاردة سوف تكون لقاءً مباشرًا ... توقَّفت السيارة على بعد خمسة أمتار، فانتظر قليلًا حتى يرى ماذا سيفعلون ... نزل أحدهما بسرعة، ثم جلس خلف باب السيارة المفتوح، انحنى «بو عمير»، ثم أمسك حجرًا صغيرًا، وألقى به في منتصف الشارع. دوَّى صوت الحجر وشقَّت الفضاءَ رصاصةٌ لها صوت مكتوم في اتجاه «بو عمير». عرف أنهما يستخدمان مسدَّسات كاتمةً للصوت، فلم يردَّ برصاصةٍ مماثلة، وتسلَّل في هدوء ... ودار دورةً كاملة، ثم ظهر في الطرف الآخر من الشارع. كان الضوء خافتًا، حتى يبدو الظلام أقوى من النور ... شاهد أحد الرجلَين يقف بجوار سيارته ... كانت السيارة مغلقةً بإحكام؛ حتى لا يستطيع أحد العبث بها. ظهر الرجل الآخر ... كان يمشي في حذر.

فكَّر «بو عمير» فترة: هل يتركهما، ويستقل تاكسيًا إلى المطار، أم يدخل معهما في اشتباك؟ قال لنفسه: من الواضح أنهما يعرفاني جيدًا ... ولا بد أن أحدهما هو الذي حدَّثني بالتليفون.

رفع مسدَّسه، ثم صوَّبه في اتجاههما، وأطلق طلقةً دوَّت في الفضاء. انبطح الرجلان على الأرض، وبدأ تبادل الرصاص. اختفى «بو عمير» وعاد إلى حيث بدأ قريبًا من سيارته حيث كانا يرقدان. عندما أصبح مقابلًا للسيارة، لم يرَهما، كانا قد اختفيا. انتظر قليلًا، ثم أطلَّ برأسه، فدوَّت طلقة في هدوء الشارع، فانبطح أرضًا ... مرَّت الرصاصة بجوار رأسه تمامًا، فزحف بجوار الحائط، حتى أصبحَت بينه وبين السيارة قفزة واحدة ... انطلقت رصاصة أخرى، أحدثت صوتًا مدوِّيًا؛ فقد أصابت جسم سيارته المصفَّحة. فكَّر: هل يقفز إلى السيارة؟! لكن قد تُصيبه طلقة من أحدهما.

كان الصمت يُخيِّم الآن على كل شيء، ولم يكن يسمع أي صوت.

زحف عائدًا من حيث أتى … وفي الظلام تحت جدار أحد البيوت، نظر في ساعته الضوئية، كانت لا تزال هناك ثلاثة أرباع الساعة على قيام الطائرة. ركَّز سمعه قليلًا … فسمع وقع أقدام تقترب، وكانت الأقدام لرجلٍ واحد، فزحف حتى بداية الشارع، فرأى أحد الرجلَين يقترب في حذرٍ بجوار جدران البيوت. فكَّر بسرعة: إنه يمكن أن يلتفَّ حول الرجل الآخر، فيصطاد كلًّا منهما بمفرده.

تراجع بسرعة زاحفًا حتى أصبح عند نهاية البيت الذي يزحف بجواره … وقف، ثم انطلق جريًا في الظلام محاذرًا أن يصدر منه أي صوت. لاحت سيارة الرجلَين في منتصف شارع عرضي … التصق بجدار البيت، ثم تقدَّم … كانت السيارة قريبةً تمامًا … ظلَّ يتقدَّم، لم يكن أحد داخلها. فجأةً دوَّت طلقة رصاص عند قدمَيه، فألقى بنفسه بعيدًا … وانهال الرصاص … كانت الرصاصات تأتي من خلفه. لقد فكَّرا مثله تمامًا. زحف بسرعة حتى أصبح في منتصف الشارع، شاهد الرجل الآخر، فجرى حتى احتمى بالبيوت المقابلة. دوَّت طلقة واصطدمت بالجدار فوق رأسه. اختفى تمامًا … فكَّر، لو أنه أخذ نفس الدائرة مرةً أخرى فإنه يمكن أن يُفاجئهما. جرى بسرعة … حتى أصبحا هما في جانب وهو في الجانب الآخر. ثم تقدَّم في اتجاه سيارته حتى أصبح محاذيًا لها، غير أنها كانت عند الرصيف الآخر … شاهد أحد الرجلَين فأحكم النيشان، ثم أطلق طلقة، ورأى الرجل يتهاوى، وقد أمسك كتفه. كانت تصدر عنه أنَّات خافتة، ثم سمع وقع أقدام الرجل الآخر يجري مقتربًا منه. انتظر لحظة، وعندما ظهر الرجل أطلق رصاصة، غير أن الرجل كان قد انبطح في نفس اللحظة. قال في نفسه: إنها فرصة أن ينشغل أحدهما بالآخر!

شاهد الرجل يُعين زميله. كان يزحفان في اتجاه سيارتهما … كانت فرصةً ذهبيةً أمام «بو عمير» أن ينتظرهما قريبًا من سيارتهما، عاد مسرعًا إلى حيث توجد السيارة، اختار شارعًا جانبيًّا، ثم مرَّ منه حتى أصبح مقابلًا للسيارة. كانت خطوات الرجلَين تقترب في بطء. استعد. ظهر الرجلان، كانا كشبحَين في الليل. لم يستطِع أن يُميِّز أحدَهما عن الآخر، ولم يستطِع معرفة من فيهما الذي أُصيب … اقتربا من السيارة تمامًا. رفع مسدَّسه في نفس اللحظة التي فتح أحدهما فيها باب السيارة، فأُضيء داخلها. أطلق طلقةً علت بعدها صرخة أحدهما، وتهاوى داخل السيارة، ثم أغلق الباب، وأُطفئت أنوارها الداخلية … انطلقت طلقة في اتجاهه فالتصق بالحائط، مرَّت بجواره مباشرة، لحظة ثم انطلقت

سيارة الرجلَين وعجلاتها تصرخ ... ظلَّ مكانه حتى ابتعدت تمامًا، خرج من مكانه ووقف يرقبها وهي تبتعد، وفي حذر أخذ طريقه إلى سيارته.

كان الليل هادئًا ... نظر في ساعة يده، لم يبقَ سوى ربع ساعة على قيام الطائرة، قدَّر المسافة؛ فهو يعرف الطريق إلى المطار جيدًا، إنه يستطيع أن يقطعه في خمس دقائق، وتذكَّر الضابط «نعيم» لكن الوقت لم يعُد يسمح. وقف بجوار سيارته يستعيد ذلك اللقاء الحاد بينه وبين الرجلَين. فتح باب السيارة، ثم ألقى بنفسه فيها.

لم يكَد يُغلق باب السيارة حتى سمع صوت سيارةٍ قادمة ... ظلَّ في مكانه لا يتحرَّك؛ فأي حركةٍ يمكن أن تكشف مكانه، وقد تكون هذه عصابةً بأكملها ... اقترب صوب السيارة أكثر ... ثم مرقت في سرعة البرق دون أن يحدث شيء.

أدار محرِّك السيارة، ثم انطلق في الطريق إلى المطار. كان الطريق هادئًا، ولا يكاد يُسمع صوت. فكَّر لحظة، ما دام الرجلان يعرفاني فلا بد أني سألتقي بهما مرةً أخرى ... إن المسألة لا تمر هكذا بسهولة.

أطفأ أنوار السيارة واستمرَّ متقدِّمًا في حذر. لم يكَد يقطع كيلومترًا واحدًا حتى شاهد أضواء سيارة قادمة خلفه ... رفع سرعة السيارة قليلًا حتى يبتعد عن السيارة القادمة ... ارتفعت أضواء السيارة القادمة حتى شعر أنه أصبح مكشوفًا تمامًا، فزاد سرعة السيارة مرةً أخرى، ومن خلال المرآة الأمامية شاهد السيارة التي خلفه تأتي مسرعة ... وفجأة، لمعت في عينَيه أضواء سيارةٍ أخرى قادمة، فعرف أنه قد وقع في كمين.

من يكون مدير الرحلة؟

هزَّ رأسه وقال لنفسه: إنها مطاردةٌ نادرة! ... أضاء اللمبات الأمامية لسيارته، فاضطُرت السيارة القادمة إلى إطفاء أضوائها.

كانت لمبات سيارته قويةً للغاية، بجوار أنها مزودةٌ بلمباتٍ إضافيةٍ تجعل السيارة القادمة مشلولة الحركة تمامًا لأن سائقها لن يرى. ضغط البنزين فاندفعت سيارته بسرعةٍ كبيرة ... كان يرى السيارة التي أمامه كتلةً صامتةً لا تتحرَّك، غير أنها كانت تقف في منتصف الشارع، حتى إنه لم يكن يستطيع المرور ... ألقى نظرةً جانبيةً سريعةً على الرصيف، لم يكن مرتفعًا عندما اقترب من السيارة المقابلة، انحرف يمينًا حتى صعدت سيارته الرصيف، وظلَّت في انطلاقها حتى تجاوزت السيارة، فاندفع في الطريق إلى المطار ... كانت أضواء المطار تلمع من بعيد، غير أنه فكَّر في أن يدخل مع السيارتَين في صراع السرعة ... إن اقترابه من المطار وجلبة المطاردة يمكن أن تلفت الأنظار إليه؛ ولهذا فعندما ظهر أول شارع جانبي، انحرف فيه يمينًا حتى اختفى داخل الشارع العرضي ... وعندما أصبح في الشارع الرئيسي الموازي للشارع الآخر الذي كان فيه انحرف يسارًا، لكن فجأةً ظهرت السيارة التي كانت خلفه موازيةً له تمامًا، وأصبح الصدام صدام سيارات ... انحرف يمينًا على السيارة التي أصبحت تنطلق بجواره ... ثم صدمها صدمةً قويةً جعلت السيارة تنحرف يمينًا، ثم تصطدم بالرصيف حتى صعدت فوقه ... في نفس اللحظة التي كان فيها قد انطلق حتى اختفى ... دار دورةً واسعةً وهو يُحافظ في نفس الوقت على اتجاه المطار حتى لا تفوته الطائرة. كانت هناك خمس دقائق، غير أن الطريق إلى المطار لا يستغرقها ... زاد من سرعة السيارة في اتجاه المطار ... كانت السيارتان خلفه، غير أنهما لا تستطيعان أن تلحقاه بنفس السرعة. لاحت تفاصيل المطار، وأخذ يقترب حتى توقَّف أمام الباب تمامًا ... نزل بسرعة، وفي خطواتٍ واسعةٍ أخذ طريقه إلى صالة المطار.

كانت المذيعة تُعلن: المسافرون إلى «باريس» يتَّجهون فورًا إلى طائرتهم.

أخذ طريقه إلى أرض المطار جريًا، لكن أحد ضُبَّاط المطار استوقفه ... قال الضابط: لحظة، لمَ تجرِ؟

بو عمير: يجب أن ألحق بالطائرة!

الضابط: أي طائرة؟

بو عمير: المتجهة إلى «باريس».

هزَّ الضابط رأسه، ثم قال: هل أستطيع أن أرى أوراقك؟

حاول «بو عمير» أن يكون هادئًا فقال: إن الطائرة أمامها دقيقة، أو دقيقتان، وقد تطير دون أن ألحق بها.

ابتسم الضابط وقال: لا بأس. لكن هذا لا يمنع من أن أرى أوراقك.

أخرج «بو عمير» أوراقه، وبينما الضابط يُقلِّب فيها ويقرأ بياناتها قال: لا تتعجَّل، إن الطائرة تُزوَّد الآن بالوقود ... أمامها على الأقل ربع ساعة.

وبسرعةٍ قال «بو عمير»: هل أنت متأكِّد؟

ضحك الضابط وقال: نعم. هذه مسئوليتي. هل تظن أنني أخدعك؟

للحظة سريعة ... ظن «بو عمير» أن الضابط ربما يكون أحد أفراد تلك العصابة التي تُطارده، لكنه وفي نفس اللحظة رأى الضابط يُنادي مسافرًا كان يدخل على عجلٍ أيضًا ... استوقف الضابط الراكب، وطلب أوراقه، في نفس اللحظة التي قدَّم فيها أوراق «بو عمير» إليه ... أخذ طريقه إلى أرض المطار في هدوء ... كانت مذيعة الطائرة الداخلية تعلن: الطائرة المتجهة إلى «باريس» سوف تقوم بعد عشر دقائق. الركَّاب المسافرون إلى «باريس» يتجهون إلى الطائرة.

تنفَّس «بو عمير» في ارتياح. اقترب من بائع جرائد قد فرد جرائده ومجلَّاته في تشكيلة بديعة. وقف أمامها يقرأ عناوينها. فكَّر: هل يأخذ بعضها معه للتسلية بعد ذلك الجهد العصبي الذي بذله؟ ظلَّ يقرأ، ثم يقلب في المجلَّات قليلًا، ويختار من بينها، فلفت نظره كتاب في أقصى المجلَّات ... كان عنوان الكتاب «جريمة بلا صاحب». أعجبه عنوان الكتاب، وأخذه وفتحه، وهو ينظر إلى البائع مستأذنًا، وقرأ في بداية المقدِّمة: «كل جريمةٍ لها صاحب، هذه ضرورة، لكن هناك جرائم لم يتعرَّف أحد على صاحبها، فظلَّت بلا صاحب.» ... توقَّف عند هذه الكلمات، ثم نظر في ساعة يده ... لم يبقَ سوى خمس دقائق ... اشترى الكتاب، ثم أخذ طريقه إلى أرض المطار ... كانت مقدِّمة الكتاب لا تزال تدور في رأسه، وتذكَّر تلك المطاردة التي حدثت، وقال في نفسه: إنها جريمة بلا صاحب!

أخذ طريقه إلى حيث تقف الطائرة التي زُوِّدت بالوقود، وعندما وضع قدمه على سُلَّم الطائرة، كان هناك رجل يصعد معه. نظر له الرجل، وبابتسامة هادئة قال: لقد تأخَّرنا ...

ابتسم «بو عمير» وقال: نعم.

دخل من باب الطائرة فبدأ السلَّم يتراجع. أغلق الباب بينما كان يأخذ طريقه إلى كرسيِّه، وعندما جلس، كان نفس الرجل يجلس بجواره ... قال الرجل مبتسمًا: صدفةٌ مدهشة، متأخِّران معًا ... وجالسان معًا.

ابتسم «بو عمير» ولم يردَّ ... غير أن الرجل استمرَّ في الكلام: إننا زملاء رحلة. هل سافرت قبل ذلك كثيرًا؟

لم يردَّ «بو عمير» مباشرة، لكنه بعد لحظةٍ قال: ليس كثيرًا.

قال الرجل: في السفر يحتاج الإنسان إلى زميل يتحدَّث معه حتى تنتهي الرحلة ... اسمح لي أن أُقدِّم لكَ نفسي؛ «جان فال»، مهندس بترول، أعمل في «الجزائر» منذ فترة.

قال «بو عمير»: أهلًا بك، «مصطفى مسعود».

ابتسم الرجل وقال: إذن أنت جزائري؟

بو عمير: لا، إنني يمني.

هزَّ الرجل رأسه في دهشة، ثم قال: إذن أنت تتحدَّث العربية؟!

بو عمير: بالتأكيد. هل تتحدَّثها أنت؟

جان: نعم، تعلَّمتها لكثرة عملي في «الجزائر» ... خصوصًا عندما بدأتْ مرحلة التعريب في «الجزائر». لقد كان الجزائريون يتحدَّثون الفرنسية كما تعرف، لكن بعد الثورة والاستقلال، بدءوا في استخدام العربية.

بو عمير: هذه مسألةٌ ضرورية، فكيف يتخلَّى شعبٌ عن لغته؟

بينما كان الرجل يتحدَّث، كان «بو عمير» يُحاول أن يستعيد صوت الرجل الغامض الذي تحدَّث إليه في التليفون، لكنه لم يستطِع أن يُحدِّد إن كان هو أم لا.

جاء صوت مذيعة الطائرة تطلب ربط الأحزمة، وبدأت محرِّكات الطائرة تدور، فأحدثت اهتزازًا قويًّا فيها.

مرَّت لحظات، ثم بدأت الطائرة تتحرَّك.

عندما استقرَّت الطائرة في الهواء قال الرجل مبتسمًا: الآن ممكن أن نتحدَّث. فكَّر «بو عمير» بسرعة: إنها فرصة، من يدري؟ قد يكون بداية خيط، إنه لن يكشف نفسه بهذه البساطة.

سأل الرجل: هل تقوم برحلة إلى «باريس»؟

بو عمير: نعم، غير أنها رحلة عمل.

سأله الرجل: ماذا تعمل؟

بو عمير: إنني كهربائي …

ظهرت الدهشة على وجه «جان فال» وقال: مسألةٌ غريبةٌ أن تُفكِّر بالعمل في «باريس»!

ابتسم «بو عمير» وقال: وما وجه الغرابة في ذلك؟

جان فال: أنصحك أن تبحث عن العمل في أي مكانٍ غير «باريس»؛ لأنها مدينةٌ مزدحمةٌ بالغرباء العاملين في مهنٍ مختلفة.

توقَّف «جان» قليلًا، ثم قال: معذرة!

بو عمير: لا بأس.

جان: إنك تتحدَّث الفرنسية جيدًا!

بو عمير: نعم، لقد درستها، بجوار أنني كنتُ أعمل في شركة فرنسية لسنوات طويلة.

جان: مع أنك صغير السن نسبيًّا!

بو عمير: نعم. إنني أعمل منذ أن كنت صغيرًا.

جان: هيَّا نتحدَّث العربية … إنني أسعد عندما أتحدَّثها … هل تعرف أحدًا في «باريس»؟

بو عمير: لا. لكني سأُحاول أن أتعرَّف … المؤكَّد أن هناك عربًا كثيرين.

جان: بالتأكيد … بالتأكيد!

ظلَّ الحوار يدور بينهما، حتى تثاءب «جان» وقال في النهاية: إنني أشعر بالرغبة في النوم قليلًا. إن السفر يجعلني أشعر بهذه الرغبة دائمًا، ربما … بسبب صوت الطائرة.

هزَّ «بو عمير» رأسه ولم يُجِب. تثاءب «جان» مرةً أخرى، ثم أغمض عينَيه. ظلَّ «بو عمير» يتأمَّله بطرف عينه، ثم فجأةً قال «جان» وهو يفتح عينَيه: مسيو «مصطفى» هل تعمل عندي؟

قال «بو عمير»: سوف أكون سعيدًا أن يحدث هذا.

جان: إذن … عليك أن تتبعني عندما ننزل في المطار.

هزَّ «بو عمير» رأسه وقال: شكرًا يا سيدي.

أغمض «جان فال» عينَيه، واستغرق في النوم. أخذ «بو عمير» يتأمَّله وهو نائم. كان يبدو كثعلبٍ بشاربه الرفيع الأصفر، وملامحه الدقيقة. حوَّل «بو عمير» عيَنيه وأخذ يتأمَّل

الظلام الذي كان قد بدأ منذ قليل ... كانت لا تزال بعض الألوان الحمراء تُكوِّن أطراف بعض قطع السحب المتناثرة ... استغرق في التفكير ... مرَّت لحظات، ثم ألقى نظرةً جانبيةً على «جان» الذي كان يغطُّ في نومه.

غير أنه لم يكَد يُحوِّل عينه عنه، حتى قال «جان» وهو لا يزال مغمض العينَين: مسيو «مسعود»، هل تعرف أنكَ تجلس مكان زميلي الآن؟

نظر له «بو عمير»، ثم قال: كيف؟

ودون أن يفتح «جان» عينَيه قال: كان المفروض أن يكون زميلي «بول» معي الآن ... لكنه تخلَّف في آخر لحظة.

بو عمير: لعل المانع خير.

جان: نعم خير.

قالها باللغة العربية، ثم ابتسم، وأكمل بالفرنسية: هناك بعض الأعمال في الشركة استدعت وجوده، لكنه سوف يلحق بي بعد يومٍ أو يومَين ...

وفتح «جان» عينَيه، ونظر إلى «بو عمير» نظرةً لا معنى لها ... ثم ضحك.

نزيل الحجرة رقم «٩»

قال «بو عمير»: إن هذه الضحكة تعني شيئًا من اثنَين؛ إمَّا أن «جان فال» هو الرجل الذي حدَّثني، أو أن زميله هو الذي حدَّثني ... ولا بد أنني مراقبٌ حقيقة.

انتهت ضحكة «جان»، فقال: إنك فعلًا زميل ممتاز. وأغلق عينَيه مرةً أخرى.

كان الوقت يمرُّ بطيئًا، وكان «بو عمير» يشعر بالرغبة في الوصول بسرعة. ها هو يلتقي بأحدهم، إن ذلك يعني في النهاية أنه سيلتقي مع العصابة مواجهة وبسرعة، ربما أسرع ممَّا يتصوَّر؛ ولذلك فعندما كانت الطائرة تنزل في مطار «ديجول» الكبير شعر «بو عمير» بالراحة.

أخذ طريقه للخروج فقال «جان»: هيه أيها الزميل «مصطفى»، هل تصحبني؟

قال «بو عمير»: ما دمتُ سأجد عملًا.

نزلا معًا حتى أصبحا خارج المطار، قال «جان»: أُريد أن أُوضِّح لكَ الأمر أكثر؛ إنكَ لن تعمل في «باريس»، إن مقر العمل يبعد عنها بحوالي مائة كيلومتر.

قال «بو عمير»: لا بأس ما دام العمل مُجزيًا.

جان فال: سوف تتقاضى راتبًا طيبًا، بجوار أنك ستجد المسكن المناسب، والطعام، وربما النزهة أيضًا.

صمت «بو عمير»، ثم سأل: لا تهم المسافة، المهم أن يكون العمل طيبًا، وأن تكون الصحبة طيبةً أيضًا.

ضحك «جان» مرةً أخرى، ثم قال: سوف تروق لكَ الصحبة تمامًا، وسوف تجد شبانًا في مثل سنك، يمكن أن تتسلَّى معهم.

صمت «جان» قليلًا، ثم قال: على فكرة ... عندنا كثيرون يتحدَّثون العربية مثلك.

قال «بو عمير»: هذا شيءٌ طيب.

مرَّت لحظاتٌ سريعة، توقَّفت بعدها سيارة «مرسيدس» ضخمةٌ أمامهما. نظر إليها «جان»، ثم قال: هذه السيارة سوف تنقلنا إلى هناك.

قال «بو عمير»: هل هي قرية، أم إحدى المدن الصغيرة؟

هزَّ «جان» رأسه، ثم قال: وهل يهمُّ هذا؟

قال «بو عمير» بثقة: إطلاقًا، المكان لا يهم، المهم كما اتفقنا العمل، والصحبة.

نظر حوله ... كانت هناك وجوه تُحدِّق من بعيد، لم يشكَّ لحظةً أنهم من رجال العصابة، أشار «جان» إلى السيارة، ثم قال: هيَّا إذن.

ركبا السيارة التي كانت خاليةً تمامًا، وما إن أخذا مقعدَيهما حتى انطلقت تقطع شوارع «باريس» الواسعة الجميلة، ولم يمضِ وقت طويل حتى كانت تأخذ طريقها بين المزارع الخضراء. وامتدَّ الطريق، وامتدَّ الوقت أيضًا، ثم بدأت تظهر مجموعة من الأبنية، شدت انتباه «بو عمير»، لاحظ «جان» ذلك فقال مبتسمًا: هذه مدينة «ريمس»، وهي إحدى المدن الصناعية الهامة في «فرنسا».

قال «بو عمير»: أتمنَّى أن أزور كنيستها؛ فقد قرأت أن «جان دارك» مناضلة «فرنسا» المعروفة قد عُمِّدت فيها، وأنها بناءٌ أثريٌّ جميل.

ابتسم «جان» وقال: سوف نزور كلَّ هذه الأماكن، سواء التي تعرفها والتي لا تعرفها. هل زرتَ كنيسة «نوتردام» في «باريس»؟

قال «بو عمير»: لا، لم أزُرها، وإن كنتُ قد قرأتُ روايةً أدبيةً تدور أحداثها فيها، هي رواية «أحدب نوتردام».

قال «جان» بسعادة: آه، إنها رواية ممتازة ...

بدأت ملامح الأبنية تظهر شيئًا فشيئًا، حتى دخلت السيارة مدينة «ريمس»، فقال «جان»: هذه هي مدينتنا.

ثم قال بعد لحظة: على فكرة، لقد زارتنا هنا إحدى الفرق المسرحية المصرية، وكانت تعرض مسرحية «إيزيس»، تلك الأسطورة الفرعونية ... هل تعرفها؟

قال «بو عمير»: بالتأكيد، وقد شاهدتُ المسرحية أيضًا.

قطعت السيارة شوارع مدينة «ريمس»، وأمام أحد الميادين قال «جان»: هذا هو ميدان «جان دارك».

ثم أشار بيده جهة اليسار قائلًا: انظر، هذه كنيسة «جان دارك»، إننا نُسمِّيها باسمها.

كان «بو عمير» يُشاهد كل الأشياء وكأنه يقوم بحفرها في ذاكرته؛ فقد يحتاجها. أخذت الشوارع تضيق، حتى توقَّفت السيارة أمام بناء يبدو كأنه فيلا مهجورة، تحوطه حديقة صغيرة، قال «جان»: هنا سوف تكون إقامتك، أمَّا العمل فإنه في مكانٍ آخر.

صمت قليلًا، ثم قال: هل تُحب أن تستريح قليلًا حتى أعود إليك، أو تصحبني مباشرةً إلى مكان العمل؟

قال «بو عمير»: في هدوء: لا يهم.

جان: إذن، استرح قليلًا حتى أعود إليك.

نزل «جان» فتبعه «بو عمير»، ودخلا الفيلا، فظهر عدد من الخدم قال لهم «جان»: مسيو «مصطفى»، إنه موظَّفٌ جديدٌ أرجو أن تهتمُّوا به.

ثم نظر إلى «بو عمير» وقال: أليس كذلك؟

بو عمير: شكرًا ... أن تجعلني مهمًّا.

قالها «بو عمير» بالعربية ونظر في وجوه الخدم ليرى أثر ما فعل.

قال «جان»: سيُقيم مسيو «مصطفى» في الحجرة رقم «٩»، وسوف أعود بعد ساعة ويكون قد ارتاح قليلًا وتناول طعامه.

رفع يده محييًا «بو عمير»، ثم انصرف.

اقترب أحد الخدم من «بو عمير»، وقال في احترام زائد: إنني «فيكتور» كبير الخدم هنا، وأعمل تحت إمرة «باولوس» الذي يرأس المكان كلَّه، وسوف يحضر بعد قليل ... إنني تحت أمرك منذ الآن.

بسرعة استعاد «بو عمير» أسماء الأعضاء المهمِّين الذين تحدَّث عنهم رقم «صفر»، فتذكَّر اسم «باولوس»، فقال على الفور: إنني سعيدٌ أن أتعرَّف إليك يا «فيكتور». أرجو أن تكون هذه بداية صداقة بيننا. هل يمكن أن أذهب إلى حجرتي الآن حتى أكون مستعدًّا لحضور مسيو «جان»؟

قال «فيكتور» بأدب: تحت أمرك يا سيدي.

تحرَّك «فيكتور» فتبعه «بو عمير»، فظلَّ يدور به في طرقاتٍ متعرِّجةٍ كثيرة، ثم في النهاية توقَّف أمام باب إحدى الحجرات وقال: هذه حجرتك يا سيدي. هل تأمرني بشيء؟ ...

قال «بو عمير»: أشكرك أيها الصديق.

فيكتور: هل تتناول طعامك في الحجرة، أو في قاعة الطعام؟

صمت «بو عمير» قليلًا، ثم قال: في قاعة الطعام، فقط أرجو أن تصحبني إليها بعد نصف ساعة.

انحنى «فيكتور» أمامه قائلًا: أمرك يا سيدي. ثم انصرف.

ما كاد «بو عمير» يمد يده إلى مقبض الباب حتى انفتح وحده. نظر إلى المقبض قليلًا، ثم دخل.

كانت الحجرة متسعة تضمَّ سريرًا ناعمًا عريضًا، يبدو وكأنه لأحد العظماء، ثم مكتبة صغيرة تضمُّ عددًا من الكتب، ودولابًا للملابس، وجهاز تليفزيون صغير، وتليفونًا، وعند نهاية السرير يوجد باب صغير … اتَّجه «بو عمير» إليه، ثم فتحه، فإذا به الحمَّام، وكان أزرق اللون أنيقًا. أغلق باب الحمام، ثم عاد إلى الحجرة، وظلَّ يدور داخلها يبحث عن أشياء يمكن أن تُراقبه، في النهاية جلس إلى المكتب الصغير الموجود في أقصى الحجرة، ثم أخذ يفتح أدراجه الواحد بعد الآخر، فلم يجد سوى ورقٍ وقلمٍ صغيرًا. أمسك القلم يتأمَّله قليلًا، ثم فكَّ أجزاءه؛ فلم يجد فيه ما يمكن أن يخشاه. أغلق أدراج المكتب، ثم عاد إلى السرير، كان هناك راديو صغير يغوص داخل ظهر السرير، أدار الراديو؛ فانبعثت موسيقى هادئة، ورفع الصوت قليلًا، ثم توسَّط الحجرة، وأخرج جهاز الإرسال، وأرسل رسالةً عاجلةً إلى المقر السري: «من «ش. ك. س» «٥»، إلى رقم «صفر»: إنني الآن داخل المقر.» وبسرعةٍ جاء الرد: «من رقم «صفر»: أنت لست داخل المقر الرئيسي. استمرَّ حسب التعليمات.»

أخفى الجهاز، ثم جلس على الكرسي. كان صوت الراديو عاليًا، فقام وخفض الصوت، وألقى بنفسه على السرير. كان متعبًا … تمطَّى، ثم استرخى فشعر ببعض الانتعاش. بعد دقائق قام واغتسل، وأجرى بعض التمرينات الرياضية فشعر بانتعاشٍ أكثر. بعد قليلٍ سمع صوتًا يتحدَّث: السيد «مصطفى». الطعام في انتظارك.

حاول أن يعرف مصدر الصوت ففشل. وقف يتأمَّل الحجرة من جديد، ومضت دقيقة، ثم جاءه الصوت مرةً أخرى: إن كنتَ تُريد الطعام في الحجرة يمكن أن نُحضره إليك.

عرف أن الراديو هو مصدر الصوت، قال: لا، إنني أُريد أن أتناول طعامي في قاعة الطعام، لكن … كيف الوصول إليها؟

جاءه الصوت: ستعرفها بسرعة فقط، اخرج من الحجرة.

تقدَّم من الباب فانفتح، خرج وتوقَّف، وظلَّ ينظر حواليه قليلًا، غير أن أحدًا لم يظهر. كان أمامه دهليز طويل، سار فيه حتى وصل إلى دهليزٍ آخر … ظلَّ يخرج من

دهليز إلى آخر، دون أن يعرف أين هو بالضبط ... غير أنه في النهاية وجد نفسه أمام «فيكتور» الذي كان يبتسم في مودة، وقال: أهلًا بك يا مسيو «مصطفى»، الطعام جاهز.

هزَّ «بو عمير» رأسه شاكرًا، ثم دخل خلف «فيكتور» إلى قاعة الطعام. كانت القاعة واسعة، تُزيِّنها نقوشٌ ذهبيةٌ لطيور تطير في الفضاء، وأسماك تسبح في الماء، وصيادون. وفي نهاية القاعة كان الطعام الساخن في طرف المائدة الضخمة ... عندما وصلا إلى الطعام، انحنى «فيكتور» قائلًا: أوامرك يا سيدي.

جلس «بو عمير» قائلًا: شكرًا لك، ألن يأكل أحد معي؟

قال «فيكتور»: لا يوجد هناك من ضيوف سواك يا سيدي، هل من شيءٍ آخر؟

بو عمير: شكرًا يا صديقي «فيكتور».

فيكتور: إذا احتجت شيئًا اضغط طرف المائدة فقط.

انصرف «فيكتور»، وظلَّ «بو عمير» وحده. نظر إلى طعامه، كان مكوَّنًا من الدجاج والخضار، والأرز والخبز، وكميات كبيرة من الفاكهة، خصوصًا التفاح ... أخذ يأكل في شهية، ويُعيد النظر في جوانب القاعة الفسيحة. لم يكن هناك ما يلفت النظر سوى فخامة القاعة.

ظلَّ يأكل في هدوء حتى أحسَّ بالشبع، ثم ترك الطعام، ومدَّ يده يأخذ تفاحة. ظلَّ يقلب التفاح أمامه لينتقي واحدةً وهو يُفكِّر في كل ما حدث، لقد استسلم منذ اللحظة الأولى لأصابع العصابة. كانت فكرته بسيطة ... إن العصابة لن تكتفي بقتله ... فهذه مسألة كانت يمكن أن تتم في الطريق ... رصاصة واحدة وينتهي كل شيء ... سيُحاولون الحصول على أكبر قدرٍ من المعلومات ... وربما يستخدمونه كرهينةٍ للضغط على الشياطين ... فماذا سيحدث؟

الشياطين يقعون في الفخ

كانت التفَّاحة معطوبة الجانب، لا تُثير من ينظر إليها، إلا أنها لفتت نظر «بو عمير». حملها بين أصابعه، فوجدها أخفَّ من المعتاد، وضغط عليها فوجدها صلبة. وضعها مكانها في صمت، ودون أن يُفكِّر في انتقاء واحدةٍ غيرها، عرف «بو عمير» أن هذه التفاحة إمَّا جهاز إرسال، وإمَّا كاميرا سحرية.

ظلَّ جالسًا في صمت، لكنه فجأة ... شعر بأن هناك من يرقبه، وعندما التفت كان «جان فال» يقف في عمق القاعة مبتسمًا. رفع يده يُحيِّي «بو عمير» وهو يبتسم قائلًا: أظن أنني لم أتأخَّر عليك كثيرًا ... ولعلك استرحتَ قليلًا، وتناولتَ طعامك.

وقف «بو عمير» وهو يُبدي سعادةً مزيفة، ثم قال بصوتٍ هادئ: إنني أشكرك، ولا أدري ماذا كان يمكن أن أفعل لو لم أقابلك.

كان «جان فال» يقترب فقال: هل يمكن أن نتحرَّك الآن؟

بو عمير: نعم، إنني تحت أمرك.

لم يكد «بو عمير» ينتهي من جملته، حتى ظهر رجل يلبس نظارةً سوداء، ما إن رأى «جان» حتى انحنى قائلًا: إنني تحت أمرك يا سيد «جان»!

ابتسم «جان» قائلًا: أهلًا «باولوس». إن لدينا ضيفًا عزيزًا.

قال «باولوس» في هدوء: أعلم يا سيدي ... لقد صدرت الأوامر لنكون تحت أمره.

نظر «جان» إلى «بو عمير» وقال: هذا مسيو «مصطفى مسعود» ... إنه شاب نادر المثال.

صمت قليلًا، ثم قال: «باولوس» ... المسئول عنك يا سيد «مصطفى». إنه رجلٌ طيب، يمكن أن تثق فيه.

قال «بو عمير»: إنني سعيدٌ لذلك.

باولوس: السيد «بالمي» في انتظاركما.

هزَّ «جان» رأسه وقال: سوف نكون عنده حالًا.

ثم نظر إلى «بو عمير» وقال: هيَّا بنا.

تبع «بو عمير» «جان» حتى خرجا من القاعة، ووقفا أمام بابٍ فُتح في بطءٍ فدخلا، وكان المصعد صغيرًا فنزل بهما المصعد، حتى توقَّف أمام سيارةٍ فاخرة.

ابتسم «جان» وقال: تفضَّل.

خرج «بو عمير»، ثم ركب السيارة وتبعه «جان». كان هناك سائق يجلس إلى عجلة القيادة، ما إن أغلق «جان» باب السيارة، حتى انطلق بهما.

كانت السيارة تسير في سردابٍ طويل شاحب الضوء، حتى إن «بو عمير» لم يستطِع تمييز أي شيء، خصوصًا وأن السيارة كانت تنطلق بسرعةٍ كبيرة … مضت نصف ساعة دون أن ينطق أحد بكلمة ما … في النهاية ظهرت بقعةٌ من الضوء، ظلَّت السيارة تقترب منها شيئًا فشيئًا حتى أصبحت داخلها تمامًا. توقَّفت السيارة، ففتح «جان» الباب وخرج، وتبعه «بو عمير». خطوات قليلة، ثم وقفا أمام بابٍ صغير … فُتح في بطء، ثم دخل «جان» وخلفه «بو عمير»، أغلق الباب، ثم بدأ المصعد صعوده. مرَّت ربع ساعة، والمصعد مستمرٌّ في الصعود، ثم توقَّف وفتح الباب، فخرجا خطوةً واحدةً خارج المصعد، فإذا بقاعةٍ واسعة، تلتف حول المصعد. أغلق الباب، ثم اختفى المصعد نهائيًّا، واختفت الفتحة التي كان يقف فيها، لم يكن هناك أي شيءٍ أمام «بو عمير» … لكنه اضطُر أن يلتفت بعد أن سمع صوتًا يتحدَّث إليه: أهلًا بالسيد «مصطفى».

نظر «بو عمير» فعرف أين هو بالضبط؛ إن الذي أمامه هو «بالمي» رئيس العصابة، وبسرعة أيقن أن الرجل الذي قيل إنه رئيس الخدم، هو «باولوس» الرجل الثالث في العصابة، وليس «باولوس» رئيس الخدم. قال «بو عمير»: مساء الخير يا سيدي.

بالمي: اقترب، إنني أُريد أن أتحدَّث إليك. اقترب «بو عمير» حتى أصبح أمام «بالمي»، كان يبدو كهلًا متهالكًا شاحب الوجه، وعندما بدأ يتحدَّث ظهرت تلك الحركة العصبية في عينه اليمنى. قال بالمي: لعلك بارعٌ في أعمال الكهرباء كما أخبرني «جان».

بو عمير: أرجو أن أنال ثقتك يا سيدي.

ابتسم الوجه الشاحب، وكانت الحركة العصبية لا تزال في عينه اليمنى. قال بعد لحظة: الحقيقة إنني تعبت في الوصول إلى مهندسين مهرة، يمكن أن يقوموا بالإشراف على الأعمال الكهربائية في مجموعة المصانع التي أمتلكها … لقد أحضرتُ عمَّالًا من «ألمانيا»

و«إيطاليا» و«اليابان». إن لديَّ مهندسين في الكهرباء، لكنني أُريد بجوارهم عمَّالًا مهرة، أرجو أن تكون كذلك.

بو عمير: أرجو ذلك يا سيدي.

شرد «بالمي» قليلًا، ثم قال: سوف أتركك حتى ترتاح، ويمكن أن تصحبك «لوثيلا» في زيارة للمدينة، وغدًا سوف تتسلَّم العمل.

بو عمير: أمرك يا سيدي.

بالمي: هل اتَّفقتَ مع «جان» على أجرٍ مُعيَّن.

بو عمير: ليس بعدُ يا سيدي.

صمت «بالمي» قليلًا، ثم قال: أعتقد أنه ينبغي أن ننتظر حتى نرى عملك، ثم نتفق.

بو عمير: كما ترى يا سيدي.

أشار «بالمي» إلى «جان» وقال: هيا يا «جان»، اصحب السيد «مصطفى» إلى مقرِّه، واطلب من «لوثيلا» أن تصحبه، إنها سوف تكون مسئولةً عنه، بجوار «باولوس» طبعًا في تعريفه بكل شيء.

ثم نظر إلى «بو عمير» وقال: أتمنَّى أن أراكَ مرةً أخرى، وأن يُعجبك العمل معنا.

بو عمير: شكرًا يا سيدي.

استدار «بو عمير» بعد أن حيَّا «بالمي»، وبدأ في التحرُّك، ثم توقَّف أمام فتحة ظهرت في الأرض، في نفس اللحظة التي سمع فيها صوت «بالمي» يُناديه: سيد «مصطفى».

استدار «بو عمير» في هدوء، وقال: أمرك يا سيدي.

بالمي: إننا نحتاج إلى عمَّال آخرين ... فهل يمكن أن تُساعدنا؟

فكَّر «بو عمير» بسرعة، ثم قال: أُحاول يا سيدي.

بالمي: متى؟

بو عمير: سوف أُخبر السيد «جان» بذلك.

بالمي: حسن، حسن. إلى اللقاء، وأرجو أن تهتمَّ بذلك.

بو عمير: أمركَ يا سيدي.

ظهر المصعد، فدخل «بو عمير» وتبعه «جان»، ومن جديد توقَّفا أمام السيارة، التي انطلقت بمجرَّد أن ركبا فيها.

وأمام مصعد آخر توقَّفت السيارة، ونزل «بو عمير» فقال «جان»: يمكن أن تعود إلى الفيلا، وهناك ستجد كلَّ شيء في انتظارك.

شكره «بو عمير»، ثم ركب المصعد الذي صعد به حتى توقَّف ... وعندما خرج كانت هناك فتاةٌ جميلةٌ تقف أمام الباب، ما إن رأته حتى صاحت: مرحبًا بالصديق «مصطفى»، لقد كنتُ في انتظارك.

مدَّت يدها، فمدَّ يده يُحيِّيها ... قالت: لقد تأخَّرت، أظن أنكَ قابلت السيد «بالمي».

بو عمير: نعم.

سارا معًا، وقالت «لوثيلا»: برنامج الليلة جولة في «ريمس»، ما رأيك؟

فكَّر «بو عمير» قليلًا، ثم قال: هل أستطيع أن أقوم بها وحدي؟

ابتسمت «لوثيلا» وقالت: بالتأكيد. كلُّ ما تُريده لا بد يُنفَّذ ... ثم قالت بعد لحظة: الليلة فقط.

التفت ... كان «باولوس» يقف بعيدًا، قالت: «باولوس» ... السيد «مصطفى» سوف يخرج بمفرده الليلة ... جهِّز السيارة الخاصة به.

ودَّعت «لوثيلا» «بو عمير» الذي ركب السيارة، التي انطلقت به إلى «ريمس» في الطريق قال للسائق: كم كيلومترًا بين الفيلا و«ريمس»؟

قال السائق: ليس كثيرًا يا سيدي؛ فالفيلا تقع في ضاحيةٍ من ضواحي المدينة.

بو عمير: دعني أتعرَّف بك.

الرجل: أُدعى «مارسان» سائق السيارة الخاص بالضيوف.

لم ينطِق «بو عمير» مباشرة، لقد عرف أنه محاصرٌ تمامًا ... قال بعد لحظة: هل يمكن أن أصل إلى كنيسة «جان دارك» يا سيد «مارسان»؟

قال «مارسان»: بالتأكيد يا سيدي.

بو عمير: أظن أن الوقت متأخِّر.

مارسان: من أجلك لا يتأخَّر شيء.

توقَّفت السيارة أمام الكنيسة الضخمة القديمة البناء، فنزل «مارسان» بسرعة وفتح الباب، وقال: يمكن أن تدخل مباشرةً يا سيدي.

دخل «بو عمير» ... كانت الكنيسة رطبة، تسبح في ضوء شاحب، وإن كانت مجموعات الشموع مضاءة، تُحاول أن تتغلَّب على الظلام. سار «بو عمير» في هدوء، حتى اختفى خلف أحد الأعمدة الضخمة. نظر خلفه، لم يكن هناك أحد، فأخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالةً عاجلة: «من «ش. ك. س» «٥» إلى رقم «صفر»: ينبغي إرسال ثلاثة غدًا.» وبسرعةٍ جاءه الرد من رقم «صفر»: «إنهم في الطريق إليك.» أخفى «بو عمير» الجهاز، ثم أخذ يتجوَّل في

أنحاء الكنيسة. ظلَّ داخلها نصف ساعة حتى لا يلفت النظر لشيء ... في النهاية عاد حيث كان ينتظره «مارسان».

عاد إلى الفيلا حيث اتجه مباشرةً إلى الحجرة رقم «٩»، بعد أن أعلن أنه يُريد أن ينام مبكِّرًا؛ حتى يكون مستعدًّا للعمل.

في الصباح كان «بو عمير» قد أخذ طريقه إلى قاعة الطعام، حيث جاءه «باولوس» الذي أخبره أنه سوف يتجه الآن إلى المصانع في جولة هناك، وما كاد ينتهي من طعامه، حتى حضر «جان» الذي سأله إن كان سوف يُحضر بعض العمَّال ... قال «بو عمير»: يمكن أن أنزل إلى «باريس» لأفعل ذلك.

جان: إذن نُؤجِّل زيارة المصنع اليوم حتى تكونوا معنا.

ما إن انتهى «بو عمير» من الطعام حتى سأله «جان»: هل تُحب أن يصحبك أحد؟

بو عمير: لا أظن ... إنني لن أتغيَّب كثيرًا.

جان: هل تُريد «مارسان» معك؟

بو عمير: لا أظن أنني سوف أحتاجه.

جان: كما ترى، لكن هل تقود السيارة بنفسك؟

بو عمير: نعم.

انطلق «بو عمير» بسيارته الصغيرة التي قدَّمها له «مارسان» في الطريق إلى «باريس»، وهناك اتجه مباشرةً إلى المقر السري، وما كاد يقترب من الباب حتى سمع صوت «أحمد» ... فتح الباب ودخل. كان هناك «باسم» و«أحمد» و«فهد» ...

جلسوا في اجتماع سريع أخبرهم فيه «بو عمير» بكل شيء. وظلوا بعض الوقت، ثم خرجوا، فركبوا السيارة إلى «ريمس»، وعندما وصلوا إلى هناك، كان «جان» و«مارسان» و«باولوس» و«لوثيلا» في انتظارهم ... اقترب «جان» وقال: أهلًا بالأصدقاء ... ثم نظر إلى «بو عمير» وقال: إنكَ سوف تنال ثقة السيد «بالمي».

ابتسم «بو عمير» وقال: أرجو ذلك.

ثم أخذ يُقدِّم الشياطين لهم: «إبراهيم»، «نادر»، «عادل»، وكلهم يعملون في الكهرباء؛ فنحن أبناء حيٍّ واحد.

رحَّب بهم «جان»، وقالت «لوثيلا»: أظن أنكم سوف تتجهون إلى لقاء السيد «بالمي».

جان: أظن ذلك ... ثم بعد لحظة: ما رأيك يا سيد «مصطفى»؟

بو عمير: أظن أن ذلك أحسن.

جان: هيا إذن.

أخذوا طريقهم إلى لقاء «بالمي»، وعندما خرجوا من المصعد لم يكن «بالمي» موجودًا، وقال «جان»: اجلسوا ... إن السيد «بالمي» سوف يصل حالًا. ما كادوا يجلسون حتى ظهر «بالمي» ... يختفي خلف ابتسامةٍ شاحبة، وحركة عينه اليمنى تُؤكِّد شخصيته عند الشياطين. وجلس «بالمي» ورحَّب بهم، ثم قال مخاطبًا «بو عمير»: إنني أشكرك جدًّا يا ...

ولم يُكمل كلامه، ثم نظر إلى «جان»، ثم قال: استدعِ «مارسان» و«باولوس» و«لوثيلا».

تحرَّك «جان» بسرعة، ثم اختفى لحظات وعاد قائلًا: إنهم في الطريق. ولم يكَد يُكمل جملته حتى ظهر الثلاثة.

قال «بالمي»: الآن يمكن أن نتحدَّث، وأن نُحدِّد للأصدقاء ما هو المطلوب منهم.

نظر إلى «أحمد»، ثم ابتسم قائلًا: إن الرجل الذي تعملون معه ليس ذكيًّا بهذه الدرجة، ولقد فعلتُ ذلك لأريه كيف يمكن أن يتصرَّف بذكاء.

ظهرت الدهشة على وجوه الشياطين، وإن أظهروا ثباتهم. أكمل «بالمي» كلامه: إن رقم «صفر» يمكن أن يأتي إلى هنا ... وهذه ليست مسألةً صعبة.

أيقن الشياطين أنهم قد وقعوا في الفخ، وأيقنوا في نفس الوقت أن المغامرة قد بدأت!

«باسم» ... أنقذ الموقف

أكمل «بالمي» كلامه: إن الصديق «أحمد» ممكن أن يتعاون معنا. ثم نظر إلى الآخرين وقال: وكذلك الصديق «باسم» والصديق «فهد» ... أمَّا الصديق «بو عمير» أو «مصطفى مسعود»، فسوف نُعطيه تدريبًا أكثر حتى يكون في حالةٍ أكثر يقظة ... على فكرة كانت مطاردة السيارات جيدة.

كانت الدهشة تُسيطر على الشياطين ... إن «بالمي» يعرف كلَّ شيء عنهم إذن ... أشعل «بالمي» سيجارة، ونفث دخَانها في بطء جعله كمن يختفي خلف ستارة من الدخَان، وقال بعد لحظة: سوف أُعطيكم فرصة نصف ساعة تُقرِّرون بعدها ... إمَّا العمل معنا وإمَّا القضاء عليكم. وثقوا أنكم لن تستطيعوا الإفلات.

كان الشياطين يجلسون فيما يُشبه نصف الدائرة، وقد اقتربوا من بعضهم تمامًا. ضغط «بالمي» زرارًا أمامه، فهبطت المساحة التي يجلسون فيها، وبينما هي في هبوطها البطيء، كانت كلمات «بالمي» تصل إليهم: لا تخشَوا شيئًا ... إنني لستُ شريرًا تمامًا ... سوف تعودون كما أنتم ...

ظلَّت الأرض تهبط بهم حتى استقرَّت وسط حجرة متسعة، كان السقف لا يزال مكشوفًا، نظر «أحمد» في اتجاه السقف، ثم بدأ يتحدَّث بلغة الشياطين التي لا يفهمها أحد، وهي لغة ليست منطوقة ... إنها عبارة عن دقَّات على الفخذ، يستطيع أن يُترجمها الشياطين بسرعة. قال «أحمد»: ليس أمامنا سوى الموافقة، وإلا هلكنا.

قال «باسم»: يجب إرسال رسالة سريعة إلى رقم «صفر».

وضع «أحمد» يده على صدره، حيث يختبئ جهاز الإرسال الصغير، ثم أخذ يُرسل الرسالة عن طريق الدقات أيضًا. كانت الرسالة تقول: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ... لقد وقعنا جميعًا في يد العصابة. اتَّضح أنها تعرف عنَّا الكثير ...»

وبسرعةٍ جاءه الرد: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، يجب تفجير مقر العصابة، أو القبض على أفرادها. تحرَّكوا حسب الظروف.»

ترجم «أحمد» الرسالة إلى الشياطين بطريق الدقَّات أيضًا.

ثم قال «فهد»: علينا أن نُوافق ... أعتقد أننا يجب ألَّا نشتبك معهم مباشرة.

قال «بو عمير»: إنهم يأخذون حرصهم احتمالًا لأي شيء.

ظلَّ «أحمد» ينظر حوالَيه؛ علَّه يجد منفذًا ... كانت الجدران صماء تمامًا. قال: لا سبيل سوى الموافقة.

ما إن انتهى «أحمد» من جملته حتى جاءهم صوت «بالمي»: أعتقد أنكم قد توصَّلتُم إلى اتفاق؟

بدأت المساحة التي يجلسون فوقها ترتفع في بطء، حتى استقرَّت في النهاية في نفس مكانها أمام «بالمي» فابتسم وقال: ما رأيكم؟

قال «أحمد»: لا بأس.

ابتسم «فهد» وقال: ما دمنا قد اتفقنا، هل يسمح لي السيد «بالمي» بسيجارة؟

نظر إليه «بالمي» لحظة، ثم نظر إلى «مارسان» وقال: مع أنه صغير السن، لكن ربما كان يُدخِّن.

تقدَّم «مارسان» وقدَّم سيجارةً إلى «فهد» الذي أخذها مبتسمًا. وضع يده في جيبه، وكانت أعين أفراد العصابة كلها عليه ... أخرج ولَّاعة سجائر ... ثم ضغط عليها ... انفجرت الولَّاعة، وملأت الحجرة بدخَان كثيف. كان الدخَان يُخفي الشياطين تمامًا، فأخرج كلٌّ منهم نظَّارةً خاصةً ولبسها ... فظهر أفراد العصابة الذين كانوا يسعلون.

سمع الشياطين طلقات رصاص متتالية، فانبطحوا على الأرض.

لم يكن أمامهم في تلك اللحظة سوى الاشتباك ... وعندما قفز «فهد» في الهواء ليضرب «مارسان» القريب منه، كانت جدران القاعة قد اختفت، وظهر ما يُشبه الخلاء ... اشتبك الشياطين مع أفراد العصابة ... طار «أحمد» في الهواء في اتجاه «بالمي»، غير أنه رآه يغوص في كرسيه، حتى اختفى.

كان «باسم» قد ضرب «لوثيلا» ضربةً جعلتها تئن. في نفس اللحظة كان «باولوس» قد طار في الهواء وضرب «باسم» ضربةً جعلت الدم ينفجر من رأسه، لكن «باسم» تحامل على نفسه، ثم قفز في الهواء وهو يضرب «باولوس» في وجهه، صرخ «باولوس» وارتمى عند كرسي «بالمي». فجأةً شاهد الشياطين نفس المساحة تتحرَّك إلى أسفل ... لقد وقع

«باولوس» فوق الزر الذي يستخدمه «بالمي». قفز أفراد العصابة بسرعة فوق المساحة التي كانت تهبط. صرخ «أحمد»: دعوهم!

كانت «لوثيلا» لا تزال ملقاةً على الأرض، ونظر إليها «بو عمير» وقال: إنها فرصتنا.

كان الدخَان قد انتهى تمامًا، ووقف الشياطين حول الأرضية التي تهبط ... كانوا يرَون أفراد العصابة وهم وقوفٌ فوقها. فجأةً دوَّت رصاصة وهي تمرُّ بجوار أذن «بو عمير» ... الذي صرخ: تراجعوا! ... إن «مارسان» يستخدم مسدَّساته ...

تراجع الشياطين بسرعة ... تحرَّك «أحمد» بهدوء، ثم ضغط الزر، فتوقَّفت الأرضية في منتصف المسافة ... قال «أحمد»: إنهم مسجونون هنا. دعوهم الآن.

اتجه إلى «لوثيلا»، ثم رفعها وأجلسها على أحد الكراسي، وبدأ في علاجها. قال «باسم»: المهم أن نعثر على «بالمي» ... فالمؤكَّد أن الحراسة قويةً هنا.

قال «أحمد» متحدِّثًا إلى «لوثيلا»: كيف نخرج من هنا؟ نظرت «لوثيلا» حولها فلم تجِد سوى الشياطين فقالت بألم: اضغط على هذا الزر.

نظر «أحمد» إلى حيث أشارت، ثم اتجه إلى الستارة المسدَلة فأزاحها، وجد زرًّا، ضغط عليه؛ فانفتح الحائط ... وظهر المصعد ... نظر إلى «فهد» وقال: هاتِها، اتبعوني ... لم يكَد يخطو إلى داخل المصعد حتى ترامى إلى سمعه أصواتٌ كثيرة، قال: يجب أن ننزل بسرعة ... إلى أي مكانٍ متسع. ضغط زرَّ المصعد الذي بدأ يهبط بهم ... كانت الأصوات تقترب أكثر فأكثر، وعندما توقَّف المصعد، وبدأ الباب يُفتح، كان الشياطين قد استعدوا.

أخرج «باسم» قنبلة دخَان، ثم قذفها لحظة أن فُتح الباب ... تعالى الدخَان بسرعة، لبس الشياطين نظَّاراتهم ... كانت هناك مجموعةٌ كبيرةٌ من الرجال. بدأ الرصاص يتطاير ... لم يكن أحدٌ من الحُرَّاس يرى شيئًا ... كانوا جميعًا يضربون الرصاص بلا هدف، حتى إنهم كادوا يُصيبون بعضهم بعضًا. فجأةً سمع الشياطين صوت «بالمي» يقول: يجب أن تُلقوا ما بأيديكم ... وإلا فإنني سوف أنسفكم جميعًا.

نظر الشياطين إلى بعضهم ... ألقى «باسم» نفسه بين الحُرَّاس ... ثم أخذ يزحف بين أقدامهم. ضغط «أحمد» زرَّ المصعد فانغلق الباب، ثم بدأ يصعد، غير أنه لم يستمرَّ في الصعود ... فقد توقَّف في منتصف المسافة.

فتح الباب، فإذا بهم أمام «بالمي» ... كان يقف ومسدَّسه في يده، بينما كان عدد من الحُرَّاس يقفون حوله، وقد حمل كلٌّ منهم مدفعًا رشَّاشًا مُصوَّبًا إلى الشياطين ... ضحك «بالمي» ضحكةً باهتة، ثم قال: إنكم لستم أذكياء ... لقد تعجَّلتم قليلًا. هيا اخرجوا! ...

خرج الشياطين، فنظر إليهم وقال: من بالداخل؟ قال «أحمد»: لا أحد. صرخ «بالمي»: لقد نقصتم واحدًا! ... أين هو؟!

أجاب «أحمد» بحزن: لقد قُتل في الاشتباك.

نظر إلى حُرَّاسه وقال: جهِّزوا حجرة الضيافة؛ فسوف أُريهم كيف أحتفل بهم.

أيقن «أحمد» ماذا يعني «بالمي» بحجرة الضيافة ... لا بد أنها حجرة تعذيب.

انصرف بعض الحُرَّاس، وظلَّ الآخرون يُصوِّبون مدافعهم في اتجاه الشياطين.

جذبت «لوثيلا» ذراعها في إجهادٍ من يد «فهد»، ثم تقدَّمت إلى «بالمي»، ولم تكَد تخطو خطوةً حتى سقطت مغشيًّا عليها. قال «بالمي» في قسوة: فلْيرفعها أحدكم ويُحاول إفاقتها.

تقدَّم أحد الحُرَّاس فرفع «لوثيلا»، ولم يكَد يُجلسها على أحد الكراسي حتى دوَّى انفجارٌ هائلٌ جعل القاعة تهتز ... نظر إليهم «بالمي» وصرخ: ما هذا؟ غير أن أحدًا من الشياطين لم يردَّ ... نظر «بالمي» إلى أحد الحُرَّاس وقال: «توبال» انظر ما حدث! أسرع «توبال» بالانصراف جريًا. صرخ «بالمي»: هل تتصوَّرون إنكم ستُفلتون منِّي؟ سوف أعرف كلَّ شيء ... عن رقم «صفر» وعن خططكم ... إنكم تتحدَّون أكبر عصابات العالم، وتهزمونها ... لكنكم هذه المرة لن تهزموا «بالمي». سوف أُقدِّمكم وليمةً لعصابات العالم، يسهرون عليها حتى الصباح.

فجأة ... انفتح جدار، وظهرت منه فُوَّهة مدفع رشاش ... انهمر منها الرصاص كالمطر، فقُتل كل الحُرَّاس الواقفين بجوار «بالمي» ... أسرع «بالمي» يُطلق الرصاص على الفتحة، في نفس الوقت الذي ألقى «أحمد» نفسه على الأرض ... ودار دورتَين سريعتَين، ثم ضرب «بالمي» ضربةً جعلته ينحني، فيُعالجه «فهد» بضربةٍ أخرى ... جعلته يسقط على الأرض. ازدادت الفتحة أكثر، ثم ظهر «باسم» والدماء تتفجَّر من كتفه.

كان يبتسم ويقول: لا شيء. إصابةٌ سطحية.

جرى «أحمد» إليه، في نفس الوقت جرى «فهد» و«بو عمير»، فأخذ كُلٌّ منهما رشَّاشًا، ووقفا مختبئَين في جانبَي الفتحة ... ربط «أحمد» كتف «باسم» بسرعة، ثم تعاونا في جر «بالمي»، حتى أخفياه خلف ستارة ... لم تمرَّ لحظات حتى اقترب صوت أقدام ... ظلَّ الشياطين في أماكنهم. ظهر الحُرَّاس، فوقفوا جميعًا ينظرون فلَم يرَوا أحدًا. حيَّا أكبر الحُرَّاس تحيةً عسكرية، ثم قال بصوتٍ واثق: لقد أعددتُ الحجرة يا سيدي، فلم يردَّ أحد.

وقال أحد الحُرَّاس: ربما حدث شيء. أجاب قائد الحرس: لا شيء يحدث للسيد «بالمي» ... ربما يكون مختفيًا في أحد هذه الجدران. صمت لحظة، ثم قال: الحجرة جاهزةٌ يا سيدي. ... لم يكَد يُتم جملته حتى انهال الرصاص على الحُرَّاس، وتساقطوا كالذباب.

كانت «لوثيلا» لا تزال جالسةً على الكرسي في حالة إنهاكٍ شديدة ... اقترب منها «أحمد» وهو يقول: لا تخشَي شيئًا ... سوف تكونين في أمان ما دمتِ ستتعاونين معنا. وعندما أسندها وبدأت تحرُّكها، وصلت إلى أسماعهم أصوات سيارات الشرطة.

أسرع «فهد» إلى حيث يرقد «بالمي»، ثم جرَّه من خلف الستارة حتى وضعه وسط القاعة ... بينما كانت أصوات السيارات تقترب أكثر ... فأكثر.

لقد انتهت المهمَّة بالنسبة للشياطين، وعرفوا أن رقم «صفر» قد أكمل المغامرة.

هنـــداوي